

الشيخ والبحر

علي القاسمي يقدم ترجمة جديدة لرائعة أرنست همنغواي الشهيرة

□ د. محمد الأشهب*

تعد رواية "الشيخ والبحر" للروائي العالمي إرنست همنغواي من القصص العالمية الشهيرة، إذ بيعت منها في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها حوالي خمسة ملايين نسخة خلال يومين فقط بعد نشرها سنة 1954م.

وتدور قصة "الشيخ والبحر" حول صياد كوبي متقدم في العمر اسمه سنغواي، لم يستطع أن يصطاد سمكة واحدة خلال 84 يوماً، حتى تركه الصبي الذي كان يرافقه لمساعدته ولتعلم المهنة.

وعلى الرغم من أن بعض زملائه الصيادين راح يسخر منه وبعضهم الآخر أخذ يرقى له، وأنه لم يفقد إيمانه بنفسه، بل ظل وإنقا بقدراته، منتصباً بالأمل، يستيقظ كل صباح باكراً، فيحمل سارتيه وشراعه وعدته إلى مركبه الصغير، ويجد بعيداً في مجرى خليج المكسيك بحثاً عن سمكة كبيرة.

وفي اليوم الخامس والثمانين، علقت صنارته سمكة ضخمة فأخراً، فظل يعالجها لمدة يومين كاملين حتى استطاع أن يتغلب عليها، ولما كانت تلك السمكة أطول من قاربه، فإنه اضطر إلى ربطها بجانب القارب وقطرها معه إلى الشاطئ، بيد أن أسماك القرش تأخذ في التقاط على القارب لتنهش لحم السمكة، فيدخل الصياد الشيخ في قتال ضار غير متكافئ مع أسماك القرش حفاظاً على سمكته وعندما يصل الشاطئ لا يبقى من السمكة سوى رأسها الذي لا يؤكل وهيكلها العظمي.

1. التصور الفلسفي للترجمة لدى القاسمي

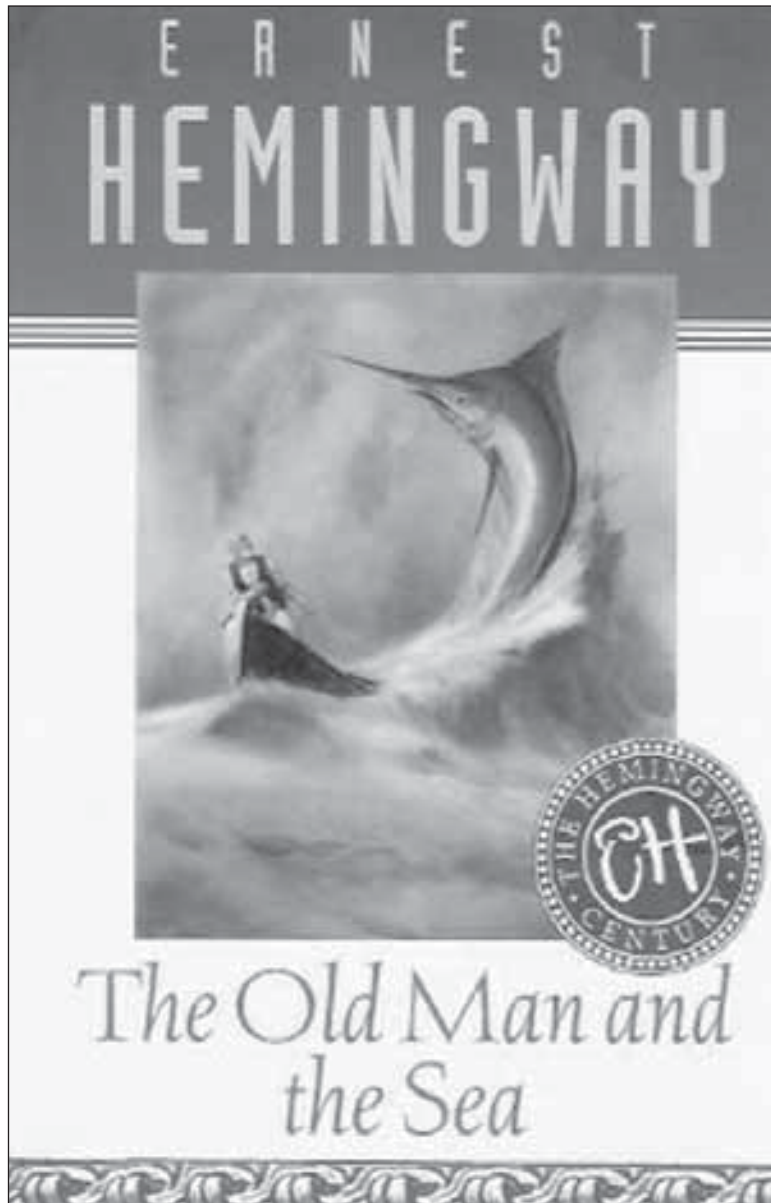
لا يترجم الدكتور علي القاسمي أعماله تبعاً لخطة مسبقة ومضبوطة، وإنما يترجم ما يروقه من أعمال أدبية رائعة يريد أن يشارك القارئ معه في متعة قراءتها، كما أن عمله في الترجمة هو عمل فردي اختياري، وتبعاً لهذه الخطة التي ليست بخطة مضبوطة، تمكن علي القاسمي من ترجمة العديد من الأعمال الأدبية التي أصبحت تشكل رصيدها مهماً في المكتبة العربية.

إذ ترجم 1969 "ببه الساكن على التل" لأبي المسرح الإسكنداني لودفيغ هولبرغ، وبعد ذلك "القصة البوليسية" للناقد البريطاني جوليان سيمونز، كما ترجم قصصاً عديدة عن الأدب الأمريكي نشرها في كتاب "مراقي" على شاطئ الآخر: روايات القصص الأمريكية المعاصرة وأخيراً انكب على أعمال الكاتب الأمريكي الكبير أرنست همنغواي، حيث ترجم له: "الوليمة المتقلبة" و"الشيخ والبحر" الذي يعد آخر ترجمته له. (1)

ترى ما هو التصور الفلسفي الذي يحكم علي القاسمي في عملية الترجمة؟ ولماذا إعادة ترجمة عمل سبق أن ترجم من قبل مثل "الشيخ والبحر" الذي تقدمه في هذا المقال التعريفي؟ وما هي التقنيات التي يعتمدها علي القاسمي في ترجمته؟ وإلى أي حد نجح في إعداد

ترجمات ناجحة؟ بعد تفرسه بكتابة القصة القصيرة التي يعد علي القاسمي أحد روادها في العالم العربي، والتي يمكنه من تطوير أسلوبه القصصي الذي يعتمد لغة سهلة وبسيطة وأسلوباً سلساً، سيوظف هذه القدرة في ترجمة روايات القصص في الأدب الإنجليزي إلى العربية اعتماداً على هذه التقنية، وقد وجد ضالته في الأدب الكبير أرنست همنغواي إذ ترجم رائعته "الوليمة المتقلبة"، وهي الترجمة التي كلفته الإعداد الجيد للنص الأصلي بالإنجليزية، وقراءته في ترجمته الفرنسية، والأكثر من ذلك نقله إلى باريس للاطلاع على الأماكن التي تدور فيها السيرة الذاتية لهمنغواي. فالمترجم علي القاسمي لا يكتفي بقراءة النص المراد ترجمته ويشعر في ترجمته، بل تخضع عملية الترجمة عنده لمجموعة من الشروط والضوابط التي يجب توفرها في كل مترجم مقدر، والتي تمكن في القيام بترجمة أمينة.

والقارئ للأعمال المترجمة للدكتور علي القاسمي، يشعر بأنه أمام عمل مكتوب بلغة عربية وليس مترجماً إليها، والأكثر من ذلك فعلي القاسمي - بحكم محبته للأعمال التي



صورة لغلاف الرواية

يترجم - يتفنن في ترجمتها؛ لأنه لا يترجم تحت طلب المؤسسات المختصة في الترجمة، ولا يسعى وراء الربح المادي من الترجمة، كما يفعل بعض المترجمين الذين يترجمون في كل مجال حتى وإن كان بعيداً عن تخصصاته. فعلى القاسمي بحكم اطلاعه على النظريات المعاصرة في الترجمة وتدريبه لمادة الترجمة، وبحكم ممارسته للترجمة منذ الستينيات، تشكل لديه تصور فلسفي للترجمة، بدأ جلياً في أعماله المتأخرة المترجمة خاصة أعمال أرنست همنغواي.

ينطلق علي القاسمي إذن، من تصور فلسفي للترجمة، إذ يعتبرها ليست مجرد توليد المقابلات المعجمية لمفردات النص الأصلي، وإنما هي نقل يجري في إطار عملية التواصل، بيد أنها أكثر تعقيداً في تواصل بين ناطقين بلغة واحدة.

فالمترجم يجتاز حدود لغتين عبر رموز لغوية، وأخرى ثقافية اجتماعية، وثالثة أسلوبية أدبية.

فلا يكفي نقل النص مجرداً من حمولته الثقافية وعارياً من كسوته الأسلوبية المتميزة، وإنما يتحتم على المترجم أن يوضع النص في سياقه الثقافي ومقامه الاجتماعي، وأن يصوغه بأسلوب يتناسب مع أسلوب الكاتب الأصلي.

وإذا فشل في واحد من هذه الميادين الثلاثة، فإنه يخل بأمانة النقل التي تعد عماد الترجمة الناجحة. (2)

بناءً على هذا التصور الذي يتبلور لدى القاسمي من خلال ترجماته الأدبية، يمكن للقارئ لأعماله المترجمة أن يمس هذا التصور الفلسفي الذي يعد الخلفية التي على أساسها يترجم أعماله المنتقاة، ففي الأعمال

بالتجمات السابقة، خاصة إذا كان العمل المترجم معروفاً ومترجمه لا يقل أهمية وقدرة في هذا المجال.

ذلك هو التحدي الذي واجهه الدكتور علي القاسمي، وهو يقدم على ترجمة رائعة همنغواي "الشيخ والبحر" التي سبق أن ترجمت من قبل، ومن قبل مترجمين كبار يشهد لهم بكفاءتهم العلمية، فما هي القيمة المضافة التي سيقدمها الدكتور القاسمي؟ وما هي مؤاخذاته على الترجمات السابقة؟ وما هي نقاط القوة التي اعتمدها علي القاسمي بخوض هذه المغامرة العلمية؟

وما هي التقنية التي اتبعها القاسمي في ترجمته ليحفل من ترجمته عملاً متميزاً عن الترجمات السابقة؟

ينطلق الدكتور علي القاسمي من قناعة مفادها أن المترجم بعد وسيط بين مؤلف أجنبي وقارئ وطني، وسيط بين لغة الأصل والمرسلة ولغة الترجمة المتلقية، وسيط بين الثقافة التي كتب فيها النص والثقافة التي نقل إليها.

ويتوقف نجاح الترجمة على كيفية أداء هذا الوسيط لدوره. ويعتمد تفوق المترجم على تمكنه من اللغتين وإلمامه بالثقافتين معاً، ومعرفة لموضوع النص، وإدراكه لأسلوب المؤلف وثقافته. (3)

إن مجمل هذه الخصائص نجدها لدى الدكتور القاسمي من خلال ما يلي:

1. تمكن علي القاسمي من اللغتين الإنجليزية والعربية.

إذ سبق له أن درس في الجامعة الأمريكية ببيروت، وهياً بحثاً باللغة الإنجليزية عن القصة الحديثة في العراق، كما تابع دراسته بجامعة عالمية أنجلوسكسونية في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا...

2. تمكنه، كذلك، من اللغة العربية، إذ يعتبر خبيراً في مجال المصطلح والدراسات المعجمية، ومؤلفاته العديدة في هذا المجال تشهد على كفاءته العلمية: إذ يعمل حالياً مستشاراً لمكتب تسيق التعريب، وعضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومجمع اللغة العربية بدمشق.

3. اطلاعه الجيد على أسلوب القصة التي كتبها، وترجم العديد منها من اللغة الإنجليزية إلى العربية، الشيء الذي جعله يميل إلى ترجمة القصة والإبداع عموماً، وهذه النصوص المترجمة ساهمت بشكل كبير في تطوير موهبة علي القاسمي الإبداعية من جهة؛ لأنه يستفيد من أساليب النصوص المترجمة، كما ساهمت، أيضاً، في تطوير ملكته في الترجمة باستعادتها في أسلوب القصة لديه. (4)

4. اطلاع القاسمي الجيد على الثقافة الإنجليزية أدباً وفكراً، فهو جسد ملم بالنص الأدبي، وخاصة همنغواي الذي تعرف عليه عندما كان طالباً، وقرأ جميع أعماله القصصية والروائية. ففي هذه الفترة، بالذات، كان القاسمي يعتبر همنغواي كاتبه المفضل باللغة الإنجليزية.

فهذا الحب لهمنغواي في المرحلة الطلابية، دفعه فيما بعد إلى الذهاب إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة، والتحقق من دراسة أعمال الأدباء الذين تحدث عنهم همنغواي في كتابه "الوليمة المتقلبة": عزرا باوند ونسي إس إليوت وسكوت فيتزجيرالد، وغيرتيتويد شنتاين وجيمس جويس وفورد ماكديوس، وفوريد دوندهام ولويس وغيرهم. (5)

5. دراسة القاسمي النظريات الحديثة في الترجمة والدراسات المعجمية، إذ تطورت نظريته لعملية الترجمة، وهي القناعة التي دفعته إلى ترجمة "الوليمة المتقلبة" قبل "الشيخ والبحر".

فحينما شرع الدكتور علي القاسمي في إعادة ترجمة رائعة همنغواي "الشيخ والبحر" تعمد عدم الاطلاع على الترجمات السابقة حتى لا يتأثر بها، فانجز ترجمته الشخصية للكلمة انطلاقاً من قدراته الخاصة وخبرته في الترجمة التي راكمها من قبل. وقد كان هدفه من ترجمة عمل همنغواي هو المحافظة على أسلوبه السهل الممتنع، وصيانة تقنياته السردية والاقتصاد في اللغة. (6)

إن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه بالعودة إلى الترجمات السابقة، والاعتماد عليها لإعادة ترجمة النص، لأن هذه العودة كان من شأنها أن تؤثر في أسلوب المترجم.

وقد بين الدكتور القاسمي في الدراسة التي دُبل بها النص المترجم مجموعة المؤاخذات والأخطاء التي وقعت فيها الترجمات السابقة، الشيء الذي يتم عن ذلك الإحساس الذي راود القاسمي قبل الشروع في الترجمة، كما أوضح القاسمي أن مجمل الأخطاء التي وقعت فيها الترجمات السابقة راجعة بالخصوص إلى عدم الاطلاع الجيد على أسلوب همنغواي في الكتابة وعلى أدبه والدراسات النقدية التي أنجزت حوله؛ فهو لا يتسكك أبداً في المستوى اللغوي العالي للمترجمين السابقين.

ولهذا نجده يعتمد في ترجمته الجديدة لرواية "الشيخ والبحر" على تتبع أسلوب همنغواي البسيط، دون البحث عن المصطلحات الصحيحة في اللغة العربية لإغراق النص المترجم بها، كما تقادى أسلوب تحسين اللغة وذلك حتى لا يخل بأسلوب همنغواي، لأن أسلوبه لا يهدف إلى إثارة عاطفة القارئ، فأسلوب همنغواي في قصصه ورواياته مثل "الوليمة المتقلبة" يعتمد غالباً على وصف الأحداث والأفعال والشخصيات بصورة شفافة ومحادية، وهذا ما تجلّى في كتاباته الصحفية حينما كان مراسلاً في باريس لبعض الصحف الأمريكية.

والقارئ لترجمات علي القاسمي لأعمال أرنست همنغواي يلمس هذه الأمانة العلمية في الترجمة التي تحافظ على أسلوب همنغواي الموضوعي، وهو الأسلوب الذي عبر عنه رولان بارت بدرجة الصفر في الكتابة (7).

إن المحافظة على أسلوب صاحب النص وتقنياته، تجعل المترجم يصل إلى درجة عالية من الأمانة العلمية في الترجمة، يقول القاسمي في شأن هذه العلاقة: "وأمانة المترجم ليست مرهونة بنقل المضامين فقط، بل بنقل الأساليب أيضاً.

فحاصل المعنى يأتي مما قيل في النص ومن الكيفية التي قيل فيها. ولهذا نجد بعض الأعمال الأدبية الكبرى قد ترجمت عدة مرات إلى اللغة الواحدة. وهذه الترجمات المتعددة لبعض الأعمال الأدبية العالمية تتباين من حيث أمانتها وجودتها النوعية." (8)

ولتحقيق هذا الهدف في ترجمته لرواية "الشيخ والبحر" التي سبق أن ترجمت من قبل، ولكي يلعب القاسمي دور ذلك الوسيط بين اللغة العربية وثقافتها واللغة الإنجليزية وثقافتها، حرص بشكل جيد على تتبع سلسلة من التقنيات، جعلت ترجمته تختلف عن الترجمات السابقة، من أهم التقنيات التي اعتمدها القاسمي في هذا العمل نذكر:

* العودة إلى المعاجم المتخصصة لتدقيق ترجمة بعض المفاهيم العلمية الواردة في القصة، مثل ما فعله مع مصطلحات "مجرى الخليج" Gulf Stream، وأسماء بعض الطيور. ولا غرابة أن نجد هذه الدقة في الترجمة لدى القاسمي المعروف باهتماماته العلمية حول المصطلح والدراسات المعجمية.

من هذا المنطلق، فعودة القاسمي إلى "المعجم الموحد لمصطلحات الجغرافية" ليميز بين تيار Current ومجرى Stream تعد مسألة عادية، حرصاً منه على الدقة العلمية في الترجمة.

* تركيز القاسمي على تركيبية الجملة العربية وأهميتها في تحديد المعنى، فعندما نضع الجملة في المبنى للمجهول تكون لها دلالة مخالفة لوصفها في المبنى للمعلوم، وهذا ما يخل بضمون القصة بأكملها وليس الجملة فقط.

وهذه إحدى الملاحظات التي سجلها علي ترجمة زباد زكريا (ب) في جملة "قد عبرت به 84 يوماً"، في حين فضل هو ترجمتها بجملة "قد أمضى 84 يوماً" «He hand gone eighty four days»؛ لأن الشيخ في القصة ليس شخصية سلبية غير فاعلة، بل يبذل جهداً كبيراً، ويوظف خبرته من أجل اصطيد سمكة، فهو فاعل وليس مفعولاً به، وبالتالي فترجمة الجملة بحيث يكون الشيخ في صيغة المفعول به وليس في صيغة الفاعل، تخل